حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

مشاري بن سعود — تركي بن عبد الله بن سعود

صبر اهل نجد في اوّل الامر على احتلال المصريين في ربوعهم لولا انهم بعد قليل اساءوا التصرف فيهم ولاسيما بعد مجيء خالد باشا الذي عيّنهُ محمّد علي كخلف لاسماعيل باشا . وقام اميرًا على نجد بعد نفي الامير عبدالله اخوه مشاري ابن سعود وكان قليل الدراية في التدبير فلم يستطع ان ينتظم ما اختلّ من الامور بعد اخيهِ ولم تطل مدّتهُ فمات لسنتين من امارتهِ سنة ١٨٢٠

فدعا النجديون بعده الى امرتهم ابن اخيهِ تركي بن عبدالله بن سعود فجمع شتات الوهابيين واخذ يناوش المصريين القتال الى ان تمكّن منهم وفلّ كتائبهم واستردّ نجدًا من ايديهم . واذ رأى ما حلّ بالدرعية من الدمار نقل كرسيّ ملكهِ الى رياض فحصّنها واحاط بها سورًا وبنى جامعًا كبيرًا وشيّد لنفسهِ قصرًا منيع الارجاء واستعدّ لحرب المصريين بعد ان أوقع بين تأخر منهم في انحاء ملكهِ وطردهم الى القصيم حيث اقاموا مع خالد باشا ينتظرون نجدة

فاسرع محمّد علي وارسل قوّات جديدة تحت قيادة حسين باشا ليقتصّ من اهل نجد فولّى الوهابيون هاربين الى جهات اليمامة والخريق فاراد حسين ان يتعقبهم فاضلّهُ الدليل وكان من العربان فمات المصريون عطشًا في تلك الصحاري القاحلة وكان عددهم نحو ٥٠٠٠ فوضع عزيز مصر محمد علي لحكم الاقدار وكفّ عن محاربة الوهابيين

فلما اطمأنّ تركي بالًا عكف على تمكين سلطتهِ وسار في رعيتهِ سيرة مشكورة وكان درس شيئًا من الطب فعالج المرضى من اصحابهِ فشفاهم ونمى بذلك صيتهُ . وانّما استفزّ الطمع رجلًا من اقاربهِ يدعى مشاري بن عبد الرحمن وقيل مشاري ابن خالد فوثب عليهِ وقت صلاة الغروب فقتلهُ سنة ١٨٣٤

فيصل بن تركي

حملة المصريين الثانية على نجد

لم يجن مشاري ثمرة جنايته ليتهنأ بها زمناً طويلاً . فان فيصل بن تركي كان غائباً من رياض يحارب جهات الاحساء فما بلغهُ الخبر بقتلهِ اباهُ حتى كرَّ راجعاً الى رياض فدخلها عنوة وحاصر مشاري في قصره عشرين يوماً الى ان وجد منهُ غرَّة فدخل القصر ليلاً وقتل مشاري لاربعين يوماً من ملكهِ . فتولى الامير فيصل تدبير الوهابيين خمس سنين (١٨٣٤—١٨٣٨) وكان عبدالله بن رشيد ساعده على محاربة مشاري فاتابهُ فيصل على عونه وجعلهُ اميرًا على جبل شمَّر واليهِ ينتمي بنو رشيد كما سترى

اما فيصل بن تركي فانهُ احسن السلوك في رعيتهِ وحاول اصلاح امورها وكمال استقلالها . واذ طالبتهُ الدولة المصرية بدفع الاموال التي كانت تقاضتها سابقاً أبى ان يؤديها . وفي اثناء ذلك قام عليهِ ابن عمهِ خالد بن سعود طالباً الامارة لنفسهِ فجرت بينهما عدَّة وقائع كان الفوز فيها حليفاً للامير فيصل ثم التجأ خالد الى المصريين فانتصر له محمد علي باشا وارسل عسكرًا لتمليكهِ على رياض . ففرَّ الامير فيصل الى الاحساء ثم تنكَّر وحجَّ الى مكَّة وساح في بلاد الشام وقرَّر بدمشق مذهبه الوهابي بصحبة الحنبليين ثم عاد الى نجد يتربَّص الفرصة لاستئناف امرتهِ . وكان خورشيد باشا جعل في مكانهِ خالداً وما لبث ان عزلهُ واعاد بلاد نجد تحت حكم المصريين ثانيةً بيد انهُ قُضي عليهِ بعد سنتين ان يرجع الى القاهرة بجنوده فجعل خالداً كوالٍ على رياض ورأى فيصل لخرج امورهِ ان يسلِّم نفسهُ لخورشيد باشا مطيعاً وقيل ان جنوده خانوه فقبض عليهِ المصريون فأرسل الى مصر أسيرًا

الفوضى في نجد

رجوع فيصل

استبدَّ خالد بالامر بعد غياب خورشيد باشا وسلك في رعيَّة الوهابيين بعنف وجفاء فنفرت منهُ القلوب ثمَّ تألبت عليهِ الاحزاب فطردوهُ بعد خلعهِ مع من بقي من المصريين لحراستهِ وسلموا سكَّان التدبير الى ابن عمهِ عبدالله بن ثنيان

كان عبدالله من رجال العزم وسعة النظر ذا بأس وفروسية . جرى في السياسة على منوال سلفائه من قهر المعادين وتأمين الثغور ثم عُني بتحصين رياض وتحسينها بالمباني الفخيمة لكنه كان شكس الخُلق لا يرعى ذمّة لرعيته فاستاء الناس من سلوكه

وفي غضون ذلك امكن الامير فيصل الفرار من حبسه فنجا بنفسه الى نجد وانضمّ اليه اشياعهُ فسار الى رياض ودخلها وتنازل لهُ عنها عبدالله بن ثنيان الذي مات بعد زمن قليل حتف انفه وقيل مسموماً (١٨٤٣ م)

واستمرّ هذه الدفعة حكم الامير فيصل على الوهابيين قريباً من ٢٣ سنة (١٨٤٣ — ١٨٦٥) فدانت له قبائل نجد واستقامت لهُ الامور وجعل قائداً على جيوشه ابنهُ عبدالله فاخضع لهُ بلاد الاحساء وقطيف وعمان فرتع في بحبوحة الامن الى سنة وفاته

تفرق آل السعود بعد الامير فيصل

لمّا مات الامير فيصل تبعهُ في الحكم ابنهُ عبدالله المذكور وكانت ايامه في اول ولايته صافية الاديم . وبقي مدة على ذلك حتى استنكف منهُ اخوتهُ واقاربه لمعاداته لهم فتحزّبوا عليهِ وخلعوهُ بعد معارك جرت بينهم سنة ١٨٧١ واسندوا امرهم الى اخيهِ سعود فحكم على نجد شرقيهِ وغربيهِ باديتهِ وحاضرته ثلاث سنوات ثمّ توفي سنة ١٨٧٤ وعاد عبدالله الى ولايته لكنّ خصومهُ من اخوته واهله نازعوه الامارة ثانية ولم يستقر لهُ امر الّا بعد ان اقتسموا بينهم انحاء دولتهم فصار كل امير يحكم على بعض العشائر فضعفت بذلك قوّتهم وانتكث حبلهم

خلاصة اخبار آل السعود بعد تفرق كلمتهم

لما انشقّت عصا آل السعود كان اول من نال ربحاً من اضطراب امورهم محمد ابن رشيد امير حائل فانهُ مكّن سلطتهُ على جبل شمّر ثم تدخّل بين امراء رياض لاصلاح شؤونهم ففتح له ذلك باباً لبسط حمايته عليهم فساءهم ان يكونوا كعيّال لمن نال السيادة بفضلهم . ثم سعوا بطلب الاستقلال فضربهم ابن رشيد ضربة أليمة فقتل البعض واسر البعض الآخر في عاصمته حائل . وبقي عبدالله في رياض مُغضياً على الذلّ . امّا اخوه عبد الرحمان ففرّ ناجياً بنفسه

واستغرب الاتراك تلك الاحوال ليعيدوا حكمهم على بعض انحاء الجزيرة فحاربوا الأحساء وعمان ودخلوا نجداً ونهبوا مدينة الخفوف وقتلوا رجالها وانتهكوا حرمة نسائها وصبيانها وجعلوا يدهم على سواحل خليج العجم من قطر الى الكويت

فلما رأى الامير عبدالله ما آلت اليه احوال الوهابيين اتفق مع اخيه عبدالرحمان على جمع كلمتهما لحفظ رياض وما جاورها من النواحي فضبط عبدالله ازمة الامر وجعل اخاه عبدالرحمان كشقيقه في الحكم وجاهرا بمعاداة ابن رشيد . لكنهما لم يقويا عليه فخضع له عبدالله مطيعاً واعتزل السياسة فعاش في حائل خاملاً في الرحب والسعة . ولحق عبدالرحمان اخوه بالاتراك فنزل الاحساء وسكن مدة في بغداد ورحل الى الاستانة الى ان احلته الدولة في الكويت مع راتب شهري قدره ٤٠ ليرة (سنة ١٨٧٩)

آل سعود في الحقبة الاخيرة — عبد العزيز باشا السعود

بقي الوهابيون كالجمر تحت الرماد ينتظرون من يتولى امرهم ليشبوا نارهم الكابية ضراماً . فلما كانت السنة ١٨٩٥ قام امير من سلالة سعود وهو عبد العزيز باشا السعود ابن اخي عبدالله الذي كان في ولاء صاحب الكويت فبعثه ليخفض من نخوة ابن رشيد وكانت الحرب قد وقعت بين ابن رشيد وصاحب الكويت الشيخ مبارك بن صباح فاغتنم عبدالعزيز هذه الفرصة وسار الى رياض حاضرة آل سعود فدخلها بمساعدة مبارك بن صباح . ومذ ذاك الحين بقي متولياً على الوهابيين دون منازع لولا ان ابن رشيد احب ان يعجم عوده ويخضعه لامره . لكن عبد العزيز خيب آماله وانتشبت الحرب بينهما زمناً طويلاً الى زمن حمود بن رشيد وانتهت بانتصار حمود لكنهما اصطلحا سنة ١٩٠٧ ولم يزالا يتمالين الى هذه السنين الاخيرة بعد ان عقدا معاهدة وعينا حدوداً لدولتيهما

وهذه ثلاث عشرة سنة مرت على عبدالعزيز بن سعود جدد فيها رونق بلاد نجد بل اخذ يسعى بتوسيع نطاق امارته فاحتل جهات الاحساء والقطيف ودارين . واذ علمت الدولة العثمانية انها لا تستطيع مقاومته وقد ضايقها الاعداء في البلقان وفي

اليمن والعسير مع ما اختبرته من شهامته وغاراته الشهباء. فضّلت قبل الحرب الاخيرة ان تعتبره كاحد اصحابها بازاء صاحب الكويت مبارك بن الصباح ودسائس الاجانب فمنحته رتبة باشا. فرفع ابن سعود في اواخر السنة ١٩١٣ الراية العثمانية على بلاده وضمّ اليها ايضاً املاكاً غيرها مما بلغت اليه مقدرته وتعاهد مع شريف مكة وعدة امراء. ويبلغ اليوم عدد حملة الاسلحة في ديارهِ نحو ٧٠،٠٠٠

وفي زمن الحرب العمومية الاخيرة كان الامير عبدالعزيز مقيماً في نجد يترصد احوال المتحاربين. فلما رأى الانكليز فاترين في العراق يفرغون كنانة الجهد لعقد محالفة بين جهات العرب ليبعثوها على الاتراك اجاب الامير سعود الى دعوتهم وحضر عند الشيخ مبارك في الكويت مع غيره من وجوه العرب ليزور القائد الاكبر على الحملة الانكليزية في العراق وهو السير برسي لاك (Sir Percy Lake) ليعرب عن خواص وداده نحو الدول الائتلافية (سنة ١٩١٧). فرحّب به السر عكر ثم اركبهُ بخته الاميري وقاده الى البصرة حيث دعاه الى استعراض الجيوش البريطانية

على ان عبدالعزيز بن سعود مع رضاه بتأليف قوى العرب على الاتراك بكسر نيرهم الثقيل لم يرضَ البتة بان تمدّ سلطةٌ غريبة يدها الى دولتهِ واذ احسّ بان سلطان الحجاز جلالة الملك حسين نوى ان يبسط حكمهُ على نجد تصدّى اليه وقام الى محاربته. وقد جرى في العام الماضي ١٩١٩ بين الحجاز ونجد حروب بلغ صداها الى مسامعنا وحتى الآن لم نقف على تفاصيلها وانما نعلم ان كفّة ابن السعود كانت راجحة وانهُ على جانب رفيع من العزم والدهاء لا يرضى بان يهضم احد شيئاً من حقوقهِ. ولا يزال الخلاف عظيماً بين مندوبيهِ وملك الحجاز على مقربة من الطائف

وفي الانباء التلغرافية الواردة في ت ٢ ١٩١٩ ان الامير عبد العزيز بن السعود ارسل وفداً الى ندرة يتركّب من ابنهِ فيصل وابنائهِ احمد بن عبدالله بن الثنايات (كذا) وعبدالله القصيبي (؟) فاستقبلتهم الدولة الانكليزية بالاكرام وكفى بهِ دليلاً على نفوذ الوهابيين ورفعة شأنهم. وبهِ نختم كلامنا عن الوهابيين ونتخطى الى ذكر بني رشيد